قراءة في أحداث الفتنة الطائفية

obeikan.com

obeikan.com

قراءة في أحداث الفتنة الطائفية

نحن في حالة صراع مع الاستعمار الأوروبي عمومًا والأمريكي والصهيوني خصوصًا - وحضارتنا الإسلامية ووجودنا كأمة مستهدف لا فرق في ذلك بين المسلم والمسيحي. وقد رأينا كيف أن الكنيسة المصرية ذاتها كانت دائما مستهدفة للتدمير أو التذويب على يد أوروبا الصليبية والاستعمارية.

والاستعمار يستهدف بالطبع ضرب ثقافتنا وحضارتنا وعوامل تميزنا واستقلالنا وفي سبيل ذلك لجأ إلى زرع أنماط ثقافته وفكره وسلوكه داخل مؤسسات وأحزاب ومدارس فكرية محلية واستقطب قطاعًا لا بأس به من المسلمين والمسيحيين على السواء لتحقيق ذلك وهنا المسألة لا علاقة لها بالطائفية. ولكن الاستعمار أيضًا يريد ضرب تماسك بلادنا عن طريق زرع الفكر الطائفي في أوساط المسلمين والمسيحيين على السواء - الاستعمار يزرع الفكر الطائفي في أوساط المسلمين ليخيف المسيحيين ويزرع الفكر الطائفي في أوساط المسيحيين لكي يقنعهم بأنهم ينتمون إلى نفس الأرضية الحضارية للاستعمار وهذا بالطبع وهم وخطأ وعلى المسلمين أن يدركوا أن دينهم وشريعتهم وظروفهم تحتم عليهم ألا يكونوا طائفيين وعلى المسيحيين أن يدركوا أن تاريخهم وتراثهم ومصالحهم أيضًا تحتم عليهم الانتماء إلى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن.

نعم هناك مشاكل وهناك تجاوزات - ولكن الاستعمار يضخم والمدرسة الاستعمارية تلتقط هذا الحدث أو ذاك لتنفخ فيه حتى تعزل المسيحيين عن المسلمين وبالطبع الخاسر هو مصر. الخاسر هم المسلمون والمسيحيون على السواء الخاسر هو الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية نعم هناك بعض من المسيحيين ممن ارتبط

بالاستعمار على مستوى القيادات السياسية أو الصحف أو حتى بعض رجال الدين - ونعم هناك استفزازات - ولكن على المسلمين أن يدركوا أن استفزازهم عن طريق هؤلاء هدف استعماري مبيت - لأن الاستفزاز ورد الفعل غير المدروس يحقق مزيدا من الخوف لدى الأقباط لأنهم أقلية وبالتالي يجعل رواج الفكر الطائفي بينهم سهلاً وميسوراً وهذا ما لا يريده المسلم أو المسيحي الذي ينتمي إلى هذا الوطن.

أكثر من هذا أن عملاء الاستعمار ومثقفي المدرسة الاستعمارية يعملون على إحداث ذلك وتضخيمه والنفخ فيه مثل فرج فوده ولويس عوض مثلا. وهذا بالطبع خدمة للاستعمار ونكاية في الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية وعلى حساب الوطن.

يجب على المسلمين أن يضبطوا أعصابهم وألا يستفزوا ويجب على المسيحيين ضرب الفكر الطائفي والانعزالي وأن يدركوا أن قبطيتهم تحتم عليهم الإيمان بأنهم مسيحيون عقيدة مسلمون وطنا وأن ينتموا إلى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن انظر مثلا إلى مكرم عبيد يقول: أنا مسيحي دينا مسلم وطنا وهو هنا لا يعبر عن رؤية شخصية بل عن التراث القبطي والعقيدة القبطية الصحيحة.

* * *

إذا حاولنا أن نتتبع ما يسمى بحوادث الفتنة الطائفية التي يضخمها العلمانيون من دعاة الفتنة الطائفية في بلادنا نجد أنها هي ذاتها تثبت عدم وجود الطائفية في سلوك الشعب كما أنها من تدبير الأصابع الاستعمارية أساسًا.

فحوادث العنف التي صاحبت ثورتي القاهرة الأولى والثانية ضد الحملة الفرنسية وجهت أساسًا ضد المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي سواء كانوا مسلمين أو أقباطًا فقد طالت عمليات الانتقام الشعب هؤلاء الذين تورطوا مع المعلم يعقوب القبطي الذي شكل ما يسمى بالفيلق القبطي وتعاون مع الفرنسيين ضد الشعب، كما أنه طالت أيضًا المسلمين المتورطين في التعاون مع الاحتلال مثل محافظ القاهرة، فهي إذن لم تكن موجهة إلى الأقباط بصفتهم أقباطا بل وجهت إلى من تعاون منهم مع الاحتلال ضد أبناء شعبه، ولو كان الثائرون قد استثنوهم من العقاب بسبب قبطيتهم لكان هذا سلوكًا طائفيًا.

ومذبحة الإسكندرية مثلا ١٨٨٢، اتفق كل المؤرخون بشأنها بأنها من افتعال القنصل الإنجليزي في الإسكندرية وبتدبير منه.

وأحداث العنف التي صاحبت الثورة العرابية - والتي طالت بعض الأقباط، طالتهم بسبب قيامهم بعمليات الربا والنهب في إطار عملية النهب الاستعماري لمصر، وبالطبع طالت الأجانب لقيامهم بالعمل نفسه وطالت بعض المسلمين أيضًا.

أما عملية اغتيال بطرس غالي رئيس الوزراء سنة ١٩١٠ على يد إبراهيم الورداني فلم تكن بسبب قبطيته بل بسبب تعاونه مع الاحتلال في توقيع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ التي أطلقت يد إنجلترا في السودان، وبسبب حادثة دنشواي التي رأس محكمتها وبسبب إصداره قانون المطبوعات وبسبب عزمه على مد امتياز شركة قناة السويس وقد كان هذا السبب هو الذي عجل بتنفيذ عملية الاغتيال في بطرس غالي لأنه عمل يستفز أي وطني، ولو كان إبراهيم الورداني قد ترك بطرس غالي لمجرد أنه قبطي لكان هذا سلوكًا طائفيًا.

وفي الحقيقة كان الأقباط أيضًا مع المسلمين قد دافعوا عن إبراهيم الورداني ونفوا عنه تهمة التعصب، فنصيف المنقبادي نشر في صحيفة الإكليز خطابا قال فيه "إنني أعرف الورداني شخصيا وهو فتى شديد الذكاء كثير المعارف وليس رجلا متعصبًا، وإنني بصفتي قبطيًا مصريًا مسيحيًا أصرح أن تهمة التعصب الإسلامي ليست إلا من إشاعات الإنجليز".

بل أكثر من هذا فإن أحد الأقباط وهو عريان سعد قام بمحاولة اغتيال يوسف سليمان باشا وهو قبطي أيضًا بسبب تعاونه مع الإنجليز.

وفي أحداث ١٩١٠ - حاول الإنجليز إذكاء نيران الفتنة الطائفية واستغلال حادثة اغتيال بطرس غالي واستطاعوا إغراء بعض عملائهم بإثارة ما يسمى بمطالب الأقلية، إلا أن الوعي الشعبي قد طوق هذه المحاولة وهدأت الأحوال سريعا ويتفق جميع المؤرخين مثل الرافعي - طارق البشري - وليم سليمان - على أن الأصابع الإنجليزية كانت من وراء تلك الأحداث أما أحداث السبعينيات فإن الأستاذ وليم سليمان يتهم

الاستعمار والصهيونية بأنهما من وراء تلك الأحداث، والسادات والبابا شنودة يتهم كل منهما الآخر بأنها من افتعاله وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة اتهام كل من السادات للبابا أو البابا للسادات فإن هذا يثبت أن الحركة الإسلامية والمسلمين عمومًا أبرياء منها. أما أحداث المنيا وأسيوط والفيوم وأبو قرقاص وغيرها التي حدثت في بداية التسعينيات فإن الأوساط الصحفية أشارت إلى أن الأصابع الأجنبية وراء تلك الأحداث وأن النيابة قد ضبطت تنظيمًا من بعض الأجانب يحمل منشورات ووثائق تثبت تورطهم في إشعال نيران الفتنة الطائفية في مصر. إذا فلا يمكن اتهام المسلمين أو الحركة الإسلامية بالطائفية فكرا وسلوكًا سابقًا أو الآن والمسألة كلها من فعل قوى الاستعمار أو المرتبطين به، أو أنها أحداث غير طائفية أصلا ولكن مثقفي المدرسة الاستعمارية يحاولون وصفها بالطائفية خدمة لأهداف مريبة.

* * *